

الإسلام وأثره في نشأة اللغة الأردية

سمير عبد الحميد إبراهيم*

شهدت منطقة شبه القارة الهندية زمان الحكم الإسلامي عصرًا ذهبيًا في جميع ميادين الحضارة والفنون، وبرع المسلمون في فن كتابة التاريخ وكتب التذاكر. وتتساءل بأية لغة كانت هذه الملايين تتحدث؟ وكيف كان هذا المزيج الاجتماعي يتفاهم؟

يحدثنا الرحالة العرب أن اللغات التي كانت مستعملة بالسند وقت دخول المسلمين هي العربية والسندية، فقد تعلم المسلمون اللغة السندية، وتداخلت الكلمات العربية بالطبع في اللغة السندية التي بدأوا يتحدثونها، وحين امتدت حكومة المسلمين الترك إلى شمال غرب البنجاب اختلطت لغتهم بلغة البلاد المفتوحة ومن هنا شاهدنا بعض شعراء بلاط محمود الغزنوي (مثل منوچهرى يستخدمون الألفاظ الهندية في أشعارهم، كما بدأ بعض شعراء الهنادكة يستخدمون الألفاظ العربية والفارسية في أشعارهم، وهكذا بدأت اللغات العربية والفارسية والتركية تترك آثارها على اللغات الإقليمية بالهند.

وتصدرت ألفاظ اللغة العربية الدينية لغات المناطق المسلمة بالهند، بينما اقتصرت ألفاظ اللغة التركية على المأكولات والملبوسات وما شابهها، أما اللغة الفارسية فقد ظلت لقرون اللغة الرسمية لتلك

* يسرنا أن نتشرف بنشر هذا المقال المقتبس من كتاب الأدب الأردني الإسلامي للأستاذ الفاضل الدكتور سميير عبد الحميد إبراهيم، وهو من كبار أساتذة اللغة والتاريخ والأدب الأردني في مصر ويرجع إليه الفضل في تعريف العالم العربي باللغة الأردية وما تحمل آدابها من ثروة فكرية وأدبية إسلامية كما شهد بها كتبه ومؤلفاته ومقالاته، وقد قضى الأستاذ سميير عبد الحميد إبراهيم عدة سنوات من حياته الأكاديمية الحافلة بالأعمال العلمية القيّمة في رحاب جامعة بنجاب بلاهور وجامعة الرياض بالسعودية. وبالإضافة إلى مؤلفاته القيّمة الأخرى لقد قام الأستاذ سميير عبد الحميد بترجمة شعر العلامة محمد إقبال نثرًا إلى اللغة العربية في عديد من أعماله الأدبية. والأستاذ سميير مقيم حاليًا في بلده مصر ويزاول أعماله العلمية.

المناطق التي حكمها المسلمون، وتمثل تقريباً في شمال الهند كله وجزء كبير من الدكن، ومن هنا كان لها نصيب كبير في التأثير على لغات شبه القارة الهندية فكان السكان يستخدمون بعض ألفاظ لغاتهم المحلية مضافاً إليها ما يعرفونه من ألفاظ اللغة الفارسية ليعبروا بذلك عن أنفسهم، أما العلماء فكان لا بد لهم من معرفة العربية معرفة تامة حتى يفهموا القرآن والحديث والفقهاء.

وكان لكل سوق من الأسواق لغة خاصة به، أما السوق السلطاني فكان له تجار معينون، وبضائع خاصة، وتقاليد خاصة، ولغة خاصة، وكان الناس يجتمعون في هذا السوق يتعلمون أسلوب الحديث وطريقة البيان، ومن هنا كان هذا السوق السلطاني مدرسة لتعليم الناس اللغة المختلطة، فهي مدرسة الدعاة المسلمين الذين راحوا يعلمون الناس بشؤون دينهم، وذلك بلغة خالية من التعقيد والتكلف، إذ الهدف الرئيسي هو إفهام العامة مبادئ الإسلام، ولغة هؤلاء الدعاة تعلموها في بلاط الملوك والأمراء في فترة حياتهم الأولى.

ونتساءل مرة أخرى: ما هي اللغة التي ظهرت نتيجة امتزاج هذه الشعوب المختلفة التي تتحدث لغات ولهجات متنوعة؟ هل هي اللغة التي نطلق عليها اليوم الأردية؟ أم هي لغة أخرى؟ والإجابة على هذه التساؤلات تحتاج إلى مئات من الصفحات ولكننا سنوجزها بقدر ما هو متاح من صفحات.

أولاً: عوامل نشأة اللغة وانتشارها

مكانة أية لغة من اللغات تتحدد في المقام الأول بما تحمله من قيم حضارية وما تقدمه من نتاج حضاري، وللعلماء والمثقفين أثر كبير في البيئة اللغوية كما أن العامل السياسي ذو أثر في حياة اللغات، أما العامل الاجتماعي فهو من أهم العوامل في حياة اللغات. فاللغة التي نطلق عليها اليوم "أردو" هي اللغة التي كان الناس يتخاطبون بها حول دهلي و مير، كما كان الناس في البنجاب وأوده والدكن وبهار والكجرات وبمباي ووسط الهند يتحدثونها جنباً إلى جنب مع لغاتهم الأخرى.

ولم تكن اللغة التي يتحدثها سكان منطقة دهلي و مير، وما حولها مختلفة كثيراً عن اللغة الأردية الحالية، وقد أسماها أمير خسرو اللغة الدهلوية، ثم سميت أردو معلى. فقد كانت لغة البلاط ورجال البلاط، وكان من تأثير الإسلام أن دخلت الألفاظ العربية والقواعد العربية والألفاظ والتراكيب الفارسية في هذه اللغة بكثرة، وسارت اللغة حيث سارت خطوط الفتوحات الإسلامية، وانتشرت بالتدريج،

وارتقت في ظل الحكم الإسلامي في الهند، وفي ظل نشاط الدعاة المسلمين الذين ساعدت كتاباتهم في تدوين اللغة ووصول بعض نماذجها الأولى إلينا اليوم.

وكان للعامل السياسي أثره في تطور الأردية وانتشارها فقد واكبت جيوش الفتح الإسلامي حينما انطلقت في شمال الهند أو جنوبها شرقها أو غربها، واختلف مدى هذا الأثر من منطقة لأخرى في شبه القارة الهندية، وهذا يوضح تمركز اللغة الأردية في الدكن وشمال الهند.

أما العامل الاجتماعي فهو من أهم العوامل وأبعدها أثرًا في حياة اللغة. فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان القدامى كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة، ومن المعروف أن فتح العرب لإقليم السند وحدوث التزاوج الاجتماعي بين العرب وأهل السند الأصليين كان له أعظم الأثر في دخول العديد من الألفاظ العربية في اللغة السندية وتقبل أهل البلاد المفتوحة لهذه الألفاظ^(١)، وبالتدرج وجنباً إلى جنب ومع الفتوحات الإسلامية في الشمال والجنوب وبامتزاج المسلمين مع أهل البلاد الأصليين ظهرت اللغة الأردية خليطاً من لغة أهل البلاد الأصليين واللغة التركية والفارسية والعربية.

ثانياً: العامل الديني وأهميته وأثره في انتشار الكتابة بالحروف العربية

اتسعت رقعة اللغة العربية بعد تكوين الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، فمع الفتوحات الإسلامية بدأت الهجرات العربية إلى المناطق المفتوحة، ومع ازدياد الهجرات بدأ استخدام اللغة العربية في هذه المناطق، ومهد هذا لانتشار العربية في هذه المناطق والأقاليم... وهاجرت القبائل العربية واستقرت في الأمصار المفتوحة داخل معسكرات، ثم أدى اختلاط العرب الوافدين مع السكان الأصليين إلى تعريب المناطق المفتوحة بدرجات متفاوتة^(٢).

وقد حاولت الطبقات غير العربية في المجتمع الإسلامي تعلم اللغة العربية فهي لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة. وأدى دخول أكثر سكان المناطق المفتوحة في الإسلام إلى ظهور الرغبة لدى هؤلاء لدراسة القرآن الكريم لفهم أحكام الإسلام والعمل في ضوئها، ولذا كانت محاولة فهم نص القرآن الكريم ودراسته أول مظهر للبحث العلمي في المجتمع الإسلامي^(٣).

١- هذا ما دفع سليمان الندوي إلى الميل إلى نظرية نشأة اللغة الأردية من السند.

٢- محمود حجازي، علم اللغة العربية، طبع الكويت، ١٩٧٣م، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٣- المرجع السابق، ص ٢٤٤-٢٤٥.

ولما كانت اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية والإسلامية فقد انتشرت في مناطق لاتسودها العربية، إذ ارتبط الإسلام بحفظ قدر من القرآن الكريم هو الحد الأدنى الضروري للصلاة، وحفظ هذه الآيات مرتبط أساساً بقراءة الخط العربي ومن ناحية أخرى كان على الدعاة من مواطني البلاد المفتوحة قراءة كتب الفقه الإسلامي بالعربية، ومن أراد التعمق كان عليه دراسة شيء من العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة.

وهكذا ارتبط الإسلام بالعربية على نحو يجعل للعربية درجة من الانتشار في المناطق التي تضم جماعات إسلامية مثلما كان للعامل الديني أثره البعيد في انتشار الكتابة العربية في مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والسودان والحبشة والصومال ونيجيريا والشام والعراق وإيران وأفغانستان وتركيا وشبه القارة الهندية والباكستان والملايو وجاوه وغيرها.

وحين وصل الخط العربي إلى إيران حدثت فيه بعض التعديلات والتغييرات بحيث أمكن استيعاب الأصوات الزائدة في اللغة الأردية أو الفارسية الجديدة، فأضيفت حروف "الباء والجيم والزاي" الفارسية (تحتها ثلاث نقط بدلاً من نقطة) والكاف المزوجة، ولما وصل العرب إلى بلاد السند واختلطوا بأهلها وانتشروا فيها بعد في شبه القارة وحين ظهرت الأردية إلى الوجود بدأ الهنادكة في كتابتها بالخط الديوناغري بينما اتجه المسلمون إلى استخدام الخط الفارسي (العربي) وللتعبير عن الأصوات الهندية استخدم حرف "الطاء" موضوعاً على حرف "ت د ر" وحرف "هـ" مضافاً إلى حرف "الباء والباء المثلثة والتاء العربية والتاء الهندية والجيم العربية والفارسية والبدال العربية والبدال الهندية (عليها طاء) والراء الهندية (عليها طاء) والكاف العربية والفارسية" ولا يعتبر "هـ" حرفاً واحداً ينطق بصوت واحد.

وفي بداية كتابة الأردية كانوا يضعون أربع نقط توضع بدل حرف "ط" على "ت، د، ر"، ولا تزال تستخدم في السنديّة حتى اليوم. كما أن البعض يقوم بوضع ثلاث نقط تحت "البدال والراء والكاف" وأربع نقط فوق التاء^(٤). وفي الكتابة القديمة (حوالي ١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م) نلاحظ اختفاء حرف "الطاء" من فوق حروف "ت، د، ر"، واختفاء حرف "الكاف" الفارسي، وعدم الاهتمام باستخدام صوت "هـ" مضافاً إلى الحرف السابق للتعبير عن صوت الحروف الهندية^(٥).

٤- لغات گجری، تقدیم وتصحیح: نجیب أشرف بدوی، بمبی، ١٩٦٢م.

٥- رانا إحسان إلهي، واحد باري، تحقیق: نجیب أشرف، لاهور، ١٩٦٠م.

وعلى كل حال فالتطور في كتابة اللغة الأردنية كان أمرًا طبيعيًا، فلم تكن هناك مطابع وكان كل كاتب يكتب ما يملئ عليه طبقًا لقدراته، وكما هو مشاهد في المخطوطات الأردنية القديمة كان بعض الكتّاب يكتبون "ت" كأنها "ط" مثل "واسته: واسطة" أي: من أجل، ويكتبون "الهاء" مكان "الحاء" مثل "هواس: حواس"، وباختصار كان الإملاء يعتمد في معظم الأحيان على الصوت فتصادفنا كلمات مثل: مهنت (محت)، منا (منع) صواب (ثواب) وغيرها كثيرًا.

وقد قام بعض المصلحين (أكثرهم من الشعراء) سنة ١١٥٣ - ١٧٤٠م تقريبًا، من أمثال شاه حاتم (شاعر) وسراج آرزو (شاعر ولغوي ألف معجمًا وتوفي عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م) وغيرهما بتقنية اللغة مما أحسوا هم بغرابته عليها، كما قاموا بتصحيح كتابة العديد من الألفاظ التي راجت بين الشعراء، وأطلق على حركتهم اسم "إصلاحية تحريك" أي: الحركة الإصلاحية، وتعد هذه أول حركة لغوية إصلاحية في تاريخ الأردنية، وقد شملت تصحيح الإملاء وطريقة الكتابة وتصحيح الأساليب والتراكيب اللغوية أيضًا، وسيأتي الحديث عنها في موضعها^(٦).

أ- العربية ومكانتها في شبه القارة

لم يترك الفتح العربي الإسلامي أثره في مجال السياسة والمجتمع والفن المعماري فحسب، بل ترك آثارًا خالدة باقية في أفكار أهل الهند وثقافتهم، فقد قدم عشرات من التابعين على الهند مع محمد بن القاسم، وأقاموا بالسند، وأوجدوا فيها حركة دينية، وساهموا مساهمة كبيرة في تنشيط حركة الحديث وعلم الفقه، هذا بينما كان جنوب الهند على صلة وثيقة بالبلاد العربية عن طريق التجارة، فقد حمل إليه التجار العرب إسلامهم ومذاهبهم الفقهية، ووفد على الهند أعلام الأدب والشعر^(٧)، فأشعلوا الملكات الشعرية والأدبية لأهل البلاد مما أدى إلى ظهور أدباء وشعراء في اللغة العربية من أبناء الهند أنفسهم، وتفجرت ينابيع العلوم العربية في الهند، وأنشئت مدارس كثيرة على غرار مدارس الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة، فظهر في الهند العديد من المحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء في اللغة العربية.

وفي العهد الغزنوي ظهر الكثير من أدباء العربية والفارسية في الهند، واشتهر مسعود بن سعد الذي ألف بالعربية والفارسية والهندية وكذلك يعقوب الغزنوي^(٨).

٦- سمير عبد الحميد، اردو شاعري کی ترقی اور ساخت اٹھارویں صدی میں، رسالہ دکتوارہ جامعہ ناب.

٧- انظر: محمد إساعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص ٤٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩.

٨- انظر نماذج من أشعاره في: أبجد العلوم، ص ٨٩٠ ونزهة الخواطر.

ومن المعروف أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية في العصر الغزنوي وعرّبت المصطلحات الفارسية^(٩). إذ كانت العربية قبل ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م هي لغة العلوم والآداب. وهنا أجد واجباً أن أنقل جزءاً من الخطاب الذي أرسله محمود الغزنوي إلى الخليفة العباسي حين استولى على الري من البويهيين سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م فقال:

"قد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة، والمبتدعة الفجرة، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفار والضلال وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار، ... وطلعت الرايات بسواد الري، وخرج الديلمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجعنا إلى الفقهاء في تعرّف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جنائياتهم واعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة أوجه تسودّها الوجوه يوم القيامة، التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، لا يعرفون شرائط الإسلام، ولا يميزون الحلال والحرام، بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة ويعتقدون ذلك ... ويعتقدون الإباحة في الأموال والفروج والدماء"^(١٠).

ولم تستطع الفارسية أن تستولي تماماً على ألسنة العلماء الإيرانيين، وقد يكتب العالم بها رسالة أو يترجم بها عملاً من أعماله، كما حدث عند ابن سينا والبيروني إلا أن العربية تظل لغته الأساسية التي يذيع بها كتبه ومعارفه، ومرجع ذلك أن العربية تفوق الفارسية في القدرة على التعبير العلمي بفضل ما تتسم به من مرونة في الاشتقاق، وأيضاً لأنها قد أصبحت فعلاً لغة علمية، فكان من الصعب أن تحل الفارسية محلها^(١١).

ومن شعراء العصر الغزنوي أبو العطا بن يعقوب الغزنوي وله قصيدة نعتية قالها مقلداً الأعشى منها^(١٢):

٩- انظر: فهرس المصطلحات العربية، ص ٧٠-٧٦، تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، عربي أدب.

١٠- نقلاً عن شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات، ج ٥، ص ٥١٠.

١١- لمزيد من التفصيل انظر: المرجع السابق، ص ٥٦٤.

١٢- نقلاً عن تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، عربي أدب، ص ٨.

أمَّ أعبُدُ الدنيا الدنية أعبُداً وفضل إلهي ماج كالبحر مزبدا
أعطي جباناً لا يحيط بعبده حسابُ عطاءِ ألفِ عامٍ مردّدا

كما اشتهر أيضاً من شعراء العصر الغزنوي أبو القاسم شمس الكفاة أحمد بن حسن ميمندي، وعلي بن عمر ابن الحكم اللاهوري وأبو النصر محمد بن حباب العتبي، والحسن بن حسان الديلي الذي التقى بالمتنبي، ومسعود سعد سلمان الذي قال:

ثق بالحسام فعهده ميمون أبداً وقل للنصر "كن فيكون"

والبيروني وغيرهم كثيرون(١٣).

وبعد أن تعرضت البلاد العربية والإسلامية لغارات المغول التتار تحول العلماء إلى الهند، وعاشوا في بلاط سلاطين دهلي، ومن المؤسف أن أحداً لم يترجم للعلماء العرب الذين بلغ عددهم بالآلاف، وفاق عدد أولئك الذين عاشوا في بلاط محمود الغزنوي. وفي عهد المالك بالهند ازدهرت العربية وألفت كتب قيّمة في الفقه والتفسير وأنشئت المدارس على نظام المدرسة النظامية ببغداد والأزهر بمصر، وكان الطلبة يدرسون التفسير والفقه والنحو والأدب والعلوم الفلسفية مباشرة من خلال الكتب العربية بالإضافة إلى بعض الكتب الفارسية(١٤).

ولا يفوتني أن أذكر هنا عالماً من علماء هذه الفترة وهو الشيخ رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (الصاغاني) ولد ٥٧٧هـ وله مشارق الأنوار، وهو منتخب من أحاديث البخاري ومسلم، ويقول الإمام الصغاني في مقدمة كتابه:

"ولما توجني الله ودوجني بتاج مصباح الدهر من صحاح حديث المصطفى، ودواج الشمس المنيرة من الصحاح المأثورات وانتال الناس إلى الاشتغال بهما جداً لا هوادة فيه واستيضاح كل حديث منها واستكشاف معانيه رأيت أن أتبع الحسنة الحسنة... فمزجت البحرين يلتقيان وغصت على ما فيها من الدرر والعقيان وضممت إلى ما فيها ما صح من كتابي الشهاب والنجم ليجتمع الصحاح في كتاب خفيف الحجم، وهذا الكتاب حجة بيني وبين الله... وكفى بالله الذي هو عاضد من وضع لتعالى جده وعاضد من وضع لتعس جده

١٣- المرجع السابق، ١٠٥-١٢٥.

١٤- انظر: محمود إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص ١٨٠ وما بعدها.

في تعدي حده عالمًا بما عانيت في تأليفه وترتيبه وقاسيت في تصنيفه وتهذيبه وسميته مشارق
الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفية" (١٥).

وللصغاني عدة مؤلفات في اللغة والعروض. كما أن له اللباب الزاخر المعجم الذي وصل فيه إلى
مادة "بكم" ثم توفاه الله.

ومن علماء تلك الفترة نذكر الشيخ بدر بن تاج الله هوري، وسيد محمد جيسودراز الحسيني،
وأبو الفتح ركن الدين تاكوري، وله الفتاوى الحمادية في الفقه الحنفي وتوجد لها نسخة خطية بالقاهرة.
والشيخ بحرق الحضرمي الذي ألف في التاريخ والسيرة النبوية والعقائد والفقه والأدب والنحو وعلم اللغة
وفي التفسير والحديث (١٦).
وأسلوبه الثري هكذا:

"اعلم أن القرآن كله سورة واحدة يصدق بعضه بعضًا ويفسر الآية منه الأخرى، فمن
استدل بمفهوم آية معارضًا به صريح آية أخرى فقد آمن ببعض وكفر ببعض، ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا أولئك هم الكافرون حقًا
فلا بد من الجمع بين آياته ورد متشابهاته إلى محكماته، كل من عند ربنا" (١٧).

العربية في الهند في عهد المغول

أما اللغة العربية في عهد المغول فقد تراجعت كثيرًا، وبدأت الفارسية والسانسكريتية والتركية
تراجها مكانتها، إذ أصبحت العربية لغة الدين والثقافة الإسلامية بينما الفارسية أصبحت اللغة الرسمية
ولغة الأدب والشعر حتى ظهرت البراكرت أو البرج بهاشا تستمد من العربية والفارسية كلماتها ويستخدمها
الجميع لتطور وتظهر بعد ذلك اللغة الأردية.

وأصدر الإمبراطور المغولي أكبر أوامره بتدريس عدة موضوعات شملت الأخلاق والحساب
والفلاحة والمساحة والهندسة والنجوم والرمل والتدبير المنزلي وعلم السياسة والطبيعة والرياضيات

١٥- تاريخ أدبيات مسلمانان باك و هند، عربي أدب، ص ١١٩-١٥٠، وانظر: مشارق الأنوار، مصر، ١٣٢٨هـ
الصفحات الأول.

١٦- تاريخ أدبيات مسلمانان باك و هند، عربي أدب، ص ٢ وما بعدها.

١٧- المرجع السابق، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

والإلهيات والتاريخ وغيرها (١٨).

ومن علماء تلك الفترة علاء الدين علي بن حسام الدين المحدث الكبير له كتاب بعنوان كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال والشيخ مصلح الدين لاري ومحمد بن أحمد ميانجي، والشيخ جلال الدين بن محمد العمري، وقطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفي الذي درس في مكة ومصر ومن أهم مؤلفاته الإعلام بأعلام بيت الله الحرام يقول في مقدمته:

"جمعت في هذه الأوراق من أخبار ذلك عارق وراق، تسير به الركبان إلى سائر الآفاق، وتير في صفحات الدهر كالشمس في الإشراق، وتحفظ في خزائن الملوك والسلاطين كأنفس الأعلاق، فكان كتابًا حسنًا في بابه ممتعًا لمن تعلق بأسبابه، أنيسًا تجمل مؤانسته، وجليسا لا تمل مجالسته، جمع بين لطائف تاريخية وأحكام شرعية، ومواعظ نافعة، وفوائد بارعة، سميت كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الأعظم الشاب الأعدل الأكرم المطيع لأمر الله وأمر خير الأنبياء صلى الله عليه وسلم، (المقدمة ص ٩)".

ومن العلماء الكبار أيضًا زين الدين المعبري (مالابار) كتب كتابًا في التاريخ بعنوان تحفة المجاهدين عن قدوم البرتغاليين إلى منطقة مالابار (٩٠٤هـ/١٤٩٨م).

ومما جاء في كتابه عن هجوم البرتغاليين على المسلمين:

"أسروا منهم من لا يحصى كثرة، وقتلوا منهم كثيرين، وردوا جملة منهم إلى النصرانية واسترقوا المسلمات المأسورات حتى خرج لهم منهم أولاد نصارى يقاتلون المسلمين ويؤذونهم فأردت أن أذكر تلك الوقعات وأسطر هذه الحادثات، فوضعت كتابًا وسميته تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين (البرتغاليين) ذكرت فيها بعض ما مضى من مساوئهم وظهور ثوابه، والتحريض عليه بنص التنزيل والآثار، وشيئًا مما اختص به كفرتها من غرائب الأخبار" (١٩).

١٨- آئين أكبري، المجلد الأول، ص ١٤٣، ١٤٤.

١٩- نقلًا عن تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، عربي أدب، ص ٢٤٩.

ومن علماء تلك الفترة أيضًا القاضي العلامة نظام الدين حنفي بدخش، والشيخ رحمة الله السندهي، وقاضي ربط المعالي بخاري وبهاء الدين عبد الكريم النروالي وغيرهم (٢٠).

ومع زوال الدولة المغولية ركز العلماء على علوم الدين والحديث وظهر الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي، والشيخ عبد الحكيم سيالكوتي، وقاضي محب الله بهاري والعلماء الذين اضطلعوا بكتابة الفتاوى العالمية (٢١).

ومع زوال الدولة المغولية بدأت البدع في الانتشار، ونشطت الحركات المغرضة، وأسس الشيعة مراكز لنشاطهم مما أيقظ العلماء المسلمين للرد على افتراءاتهم، ونشطت حركة أهل الحديث على شاه ولي الله الدهلوي (٢٢).

ومن علماء العربية آنذاك سيد عبد الجليل بلگرامي، ومحمد علي تهانوي، وشاه ولي الله محدث الدهلوي صاحب المؤلفات الشهيرة، ومحمد علي حزين الذي أنشد أشعاره بالعربية. فغلبت عليه الصبغة الفارسية.

وكذلك غلام علي آزاد بلگرامي الذي كتب بالعربية والفارسية ومن أشهر ما كتب سبحة المرجان في آثار هندوستان (١١٧٧هـ/١٧٦٣م).

ومحمد باقراگاه له من المؤلفات العربية تنوير البصر والبصير في الصلاة على النبي البشير، ونفائس النكات وله مقامات على طريقة مقامات الحريري.

أما شاه رفيع الدين دهلوي فهو شاعر عربي ممتاز قال في الرد على قصيدة ابن سينا المعروفة
قصيدة الروح:

يا أحمد المختار يا زين الورى	يا خاتمًا للرسل ما أعلاكا
يا كاشف الضراء من مستنجد	يا منجيا في الحشر من والاكا
هل كان غيرك في الأنام من استوى	فوق البراق وجاوز الأفلاكا
واستمسك الروح الأمين ركابه	في سيره واستخدم الأملاك

٢٠- انظر: نزهة الخواطر، وزيد أحمد في كتابه: *Contribution of Sub-continent to Arabic literature* توجد له ترجمة

بالعربية بعنوان: الأدب العربي في الهند، عبد المقصود الشلقامي، طبع بغداد.

٢١- تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، ص ٢٨٢.

٢٢- المرجع السابق، ص ٣٤١-٣٥٣.

ومع سيطرة الإنجليز على الهند سيطرة تامة بدأوا في نشر نظام للتعليم قضى على اللغة الرسمية القديمة للمسلمين، وتقلصت المدارس الإسلامية تمامًا، وتراجعت إلى داخل المساجد وخلت المدارس العربية والإسلامية، وهجرها الدارسون والمعلمون^(٢٣). ورغم هذا ظهر علماء وأدباء كتبوا بالعربية مثل: الشيخ فضل حق خير آبادي الذي اشتهر بقصيدة نشرت في رسالته الثورة الهندية وتحكي القصيدة تاريخ ثورة التحرير سنة ١٧٢٣هـ/ ١٨٥٧م وفيض الحسن سهارنبوري الذي شرح المعلقات السبع، وكتب شعراً بالعربية والفارسية والأردية.

ومن العلماء أيضاً، نواب سيد صديق حسن خان، والشيخ عبد الحي لكهنوي والشيخ أشرف علي تهانوي وهو عالم ومفسر وتقي والشيخ سيد أحمد عناني وهو من مشاهير دار العلوم ديوبند وشارك في حركة إنشاء باكستان وغيرهم من علماء وأدباء ظهروا في العصر الحديث وسيرد ذكرهم فيما بعد.

الفارسية ورواجها في شبه القارة

كانت الفارسية هي اللغة الرسمية في بلاط محمود بن سبكتكين الغزنوي، ثم في بلاط شهاب الدين الغوري، وملوك وسلاطين الممالك ومن جاء بعدهم من السلاطين وظهر في الهند شعراء قرضوا الشعر بالفارسية، وكانت الدولة المغولية على غرار دولة الممالك، ودولة الأتراك في رعاية العلوم العربية وفنونها وحماية العلماء والأدباء والفنانين بل فاقت في هذا العصر العصور الإسلامية كلها في الهند في مجال الثقافة والحضارة. وكان للاهتمام بالفارسية (والأردية بعدها) في العهد المغولي أثره على تقليص النشاط في مجال العلوم العربية، ورغم هذا فقد بدأ الاهتمام بالعلوم العربية ينشط في عهد أكبر، وفي عهد أورنگزيب عالمگیر، وجهت عناية خاصة إلى العلوم العربية والإسلامية، فقد كانت تربيته وميوله منذ صغره دينية محضة مما جعله يدرس الكتب الدينية المقررة في مدارس علوم الشريعة ويحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكما سبق وذكرنا أمر بتدوين الفقه الحنفي من جديد ليكون دستور الدولة الإسلامية^(٢٤).

وكان لضعف الدولة المغولية أثره على علماء وأدباء العربية بالهند، فقد زاد نفوذ علماء إيران وحملوا معهم كتبهم - الفارسية والعربية - وأفكارهم الإيرانية وأدخلوها إلى مناهج التعليم بالهند، وأدت هذه الكتب العربية المؤلفة على أيدي العلماء الأعاجم إلى إنهاك علماء الهند في الفروع دون الأصول، وولعوا بتأليف الشروح والحواشي والتعليقات دون تصنيف كتب تعبر عن أصالتهم كما وجهوا عناية خاصة إلى

٢٣ - انظر: موج كوثر، ص ٧٤ وما بعدها.

٢٤ - انظر: محمد إساعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ط ١، ص ٢٢٢.

العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة وكسد سوق الحديث والفقه، واتجهت ميول الناس إلى اختيار كلمات فخمة رنانة، واتسمت أساليب علماء الهند في مؤلفاتهم العربية بالتعقيد والعجمة والركاكة لأنهم تربوا على الولوج بحفظ الهوامش والمتون والشروح^(٢٥).

الإسلام ومولد الأردية

يتناقل كتاب التذاكر بعض الجمل والعبارات الأردية وينسبونها إلى أمير خسرو متوفى ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م إلا أنهم يقررون أن مسعود سعد سلمان (٤٣٨-٥١٥هـ/ ١٠٤٦-١١٢١م) أحد سكان مدينة لاهور هو أول شاعر نظم الشعر باللغة الهندية (الأردية) وأشار إلى هذا أمير خسرو في مقدمة ديوانه المسمى بـ: غرة الكمال ونقل محمد عوفي صاحب لباب الألباب نفس الفكرة قائلاً: إن لمسعود سعد سلمان ثلاثة دواوين: ديوان بالعربية وديوان بالفارسية وديوان بالهندية (الأردية)^(٢٦). إلا أنه لا وجود لهذا الديوان الذي كتبه مسعود سعد سلمان بالهندية، ومع هذا فالعبارات الأردية تتناثر بين أبيات ديوانه الفارسي، والحقيقة أن الكلمات الأردية توجد في أشعار حكيم سنائي متوفى ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م وكذلك في الكتابات الفارسية لكل من منهاج، وأمير خسرو، وضياء الدين بري، وسيد محمد بن سيد مبارك كرماني^(٢٧). ولم يقتصر الأمر على الألفاظ الأردية بل تعداه إلى طريقة التعبير التي جعلت اللغة الفارسية في الهند تختلف عن مثيلتها في إيران الموطن الأصلي للغة مما جعل البعض يطلق عليها اسم "هندوستاني فارسي" أي: الفارسية الهندية، ورغم انتشار الأردية لغةً يتحدث بها الناس إلا أن الفارسية لغة البلاط احتلت مكانة عالية فاتجه إليها الأدباء يعبرون بها عن أفكارهم في شكل أعمال شعرية أو نثرية.

وتحت نداء النزعة الوطنية قام أمير خسرو الذي مزج بين الموسيقى الإيرانية والموسيقى الهندية بالمزج بين الشعر الفارسي الهندي وقد اتبع في ذلك عدة أساليب منها كتابة أشعار يكون فيها مصرع بالفارسية وآخر بالأردية أو يكون فيها نصف مصرع بالفارسية ونصف مصرع بالأردية، ومن هنا اتسمت هذه الأشعار بالغموض بل ظهر نوع من الشعر يسمى "ليما" أو شعر الألباب فاللفظة الفارسية لها معنى بالفارسية يختلف عن معناها حين تستخدم في الأردية إلا أن أمير خسرو ترك كتاباً له أهمية عظيمة في تاريخ

٢٥- المرجع السابق، ص ٢٣٠ وما بعدها.

٢٦- محمد عوفي، لباب الألباب، كيمبرج، ١٩٠٢م، ج ٢، ص ٢٤٦.

٢٧- في كل من: طبقات ناصري (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) وقران السعديين (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) وتاريخ فيروز شاهي

(٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) وسير الأولياء (حوالي ٧٩٥هـ/ ١٣٩٥م) على التوالي.

الأردية يطلق عليه خالق باري وقد اختلف المحققون في نسبة هذا الكتاب إليه حتى أن البروفيسر حافظ محمود شيراني نشر هذا الكتاب وجعل عنوانه هكذا: "حفظ اللسان معروف به خالق باري مصنفه ضياء الدين خسرو در (في) سنة ١٠٣١هـ جو (الذي) عمومًا منسوب به حضرت أمير خسرو دهلوي" (٢٨). وخالق باري معجم منظوم يضم الألفاظ العربية والفارسية وما يرادفها من ألفاظ هندية. والمعجم المنظومة قديمة جدًا، ومن أقدم المعاجم العربية المنظومة كتاب مثلثات قطرب لأبي علي محمد قطرب النحوي، يضم ٣٢ بيتًا من الشعر، كما يحتل كتاب صحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري مكانة عالية بين المعاجم القديمة، وفي الفارسية كتب أبو نصر فراهي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م معجمًا باسم نصاب الصبيان ظل يدرس ضمن مناهج المدارس النظامية لقرون، وقد نظم المؤلف أشعارًا أوضح فيها معاني الكلمات العربية بالفارسية، وهكذا فعل أمير خسرو حين نظم خالق باري الذي لا يحمل أية أهمية أدبية أو شعرية، ولكنه يوضح ما كانت عليه اللغة الأردية من أهمية جعلت من الضروري على الناطقين بالفارسية والعربية والتركية معرفتها والوقوف على معانيها.

وقد كتبت عدة كتب على نمط خالق باري مثل واحد باري لأشرف بياياني (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ومثل خالق باري (٩٦٠هـ/١٥٥٢م) لأجي چند، وحفظ اللسان لضياء الدين خسرو (١٠٣١هـ). ويعتد أمير دهلوي من معاصري أمير خسرو متوفى ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وقد لقب بـ: سعدي هندوستان أي سعدي شيرازي الهند، كتب أشعارًا تقاسمت فيها الفارسية والأردية الأبيات ومزج بين الفارسية والأردية مزجًا رائعًا (٢٩).

وفي هذه المرحلة التي تمثل مولد اللغة الأردية وأدها تطالعنا أقوال وحكم الدعاة والمبلغين لدين الله من أمثال الشيخ فريد الدين مسعود (٥٦٩هـ-٦٦٤هـ/١١٧٣-١٢٦٥م) وهو من سكان مدينة ملتان، والشيخ حميد الدين تاكوري (٥٩٠-٦٧٣هـ/١١٩٣-١٢٧٤م) والشيخ شرف الدين يحيى منيري (متوفى ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) الذي كتب عدة أشعار على النمط الهندي المسمى "دوها" أو "دوهرا" ويشبه المثنوي، وله أيضًا بعض الأقوال المأثورة والأمثال التي اشتهرت فيما بعد، أما الشيخ عبد القدوس گنگوهي (٨٦٠-٩٤٥هـ/١٤٥٥-١٥٣٨م)، فكان شاعرًا مجيدًا بلغة برج بهاشا - التي تمخضت عنها الأردية - وعالمًا وفقهًا

٢٨- حفظ اللسان، انجمن ترقي أردو، دهلي، ١٩٤٤م.

٢٩- جميل جالبي، تاريخ أدب أردو، ص ٣٤، ٣٥.

من علماء عصره، وقد لقب بـ: "مجتهد وقت" و "مفتدك زما" أي: مجتهد وقته ومرشد زمانه، وترك مآثورات وأشعارًا وخطابات، وكان يعبر عن أفكاره أولاً بالشعر الفارسي ثم يفسر هذه الأفكار بالهندية أو الأردية على نمط "دوها" أو "دوهر".

ومن العجيب أن يقوم واحد من الهنادكة ويدعى كبير (متوفى ٩٢٤هـ/١٥١٨م) بإنكار عبادة الأصنام والشرك بإله واحد، ومن الجدير بالملاحظة هنا أنه استخدم الألفاظ الفارسية والعربية والتركية التي كانت تروج على السنة العامة، وهكذا كان يكتب الكلمات العربية والفارسية والتركية كما ينطقها العامة واستعصى عليه نطق بعض الحروف العربية، وهكذا نرى أن وضوء عنده وجوء، وغريب (بمعنى فقير) عنده غريب، كما أن الشين عنده تصبح سينًا والغين كافا فارسية والذال دالاً^(٣٠).

وكان هذا هو حال معظم الألفاظ العربية التي اتخذت شكلاً عجيباً على السنة أهل شبه القارة الهندية الباكستانية من المسلمين وغيرهم في بداية كتابتهم للأردية حتى تم تصحيحها فيما بعد، ومن أمثلة الكلمات العربية التي تغيرت صورتها فيما بعد:

مسجد: مسيت	تسييح: تسييه
صدق: سدك	صاحب: ساهب
كعبه: كابا	قبول: كبول وغيرها.
كلمة: كلما	

ومع تأسيس بابر (متوفى ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) للدولة المغولية اتسعت رقعتها، وأصبحت إمبراطورية تضم أرضاً واسعة. وفي زمانه اشتهر الشيخ جمال كنبوه (متوفى ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) بأشعاره الفارسية التي تتخللها الكلمات والعبارات الأردية، كما ظهر شعراء آخرون ينظم بعضهم على نمط خالق باري منظومة يشرح فيها معاني الكلمات الفارسية بالأردية^(٣١).

وفي زمان أكبر امتلاً البلاط برجال من جميع مناطق الهند: البنجاب، السند، الكجرات وبعض مناطق الدكن والبنغال وإقليم بهار وغيرها، كما ضم العديد من الأجناس: المغول والإيرانيين والطورانيين والعرب والأفغان والهنود، جمعهم الوظائف الرسمية وضمهم العمل داخل البلاط، ورغم أن لغة البلاط

٣٠- بندت منوهر لال، كبير صاحب، إله آباد، ١٩٣٠م، ص ١٢٩، ١٣٠.

٣١- مولوي عبد الحق، قديم أردو، كراچي، ١٩٦١م، ص ١٩٨-٢٠٧.

كانت الفارسية إلا أن أمور البلاط لم تكن لتسير بالفارسية فقط. إذ كانت هناك لغة أخرى تضم الأفغاني والگجراتي والسندي والبنغالي والدكني والبنجابي وهي اللغة التي أطلق عليها البعض "لغة التعايش" أو لغة الساعة "أي اللغة الهندية" (٣٢).

وتوضح النماذج الشعرية في زمان أكبر أن أدب اللغة الأردية كان قد بدأ يتخذ شكلاً يمكننا من أن نطلق عليه أدباً بالشكل المفهوم حالياً، إلا أن نجم الأردية بدأ يصعد في زمان الإمبراطور نور الدين جهانگیر الذي ولد من أم كانت في الأصل أميرة هندوكية، وظلت الفارسية تحتل مكان الصدارة وخاصة في شمال الهند، بينما احتلت الأردية (الدكنية) المقدمة في منطقة الدكن والگجرات في الجنوب ونالت رعاية البلاط هناك. وفي زمان الإمبراطور شاه جهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ/١٦٢٧-١٦٥٧م) تأصلت جذور اللغة الأردية في المجتمع حتى أصبح من الضروري على أي موظف في البلاط أن يكون عارفاً بالأردية، وكان شاه جهان نفسه عارفاً بهذه اللغة، ويعتبر منشي ولي من شعراء زمان شاه جهان، قال الشعر بالفارسية والعربية أيضاً، وجاءت أشعاره الأردية مملوءة بالكلمات والجمل الفارسية، يقول في بعض أشعاره:

لماذا تعلق قلبك بالدنيا، وأنت سترحل عنها

لماذا تعلق قلبك بهذا العالم، وسوف تتركه بأسره

لقد نزلت ضيفاً على هذا المكان، وأصبحت سيده

إلا أنك نسبت نفسك وكأنك لا تفهم شيئاً (٣٣)

يأتي أورنغريب (١٦٥٧/١٧٠٧م) إلى العرش وتتسع رقعة مملكته، ومع اتساعها بدأت ينابيع الثقافة الفارسية تنضب رويداً رويداً، وبدأت أنهار الفارسية تجف، وأخذت الأردية تستعد لتحل محلها تماماً، فأصبحت لغة التعليم في المدارس والكتاتيب واتصل الشمال الهندي بالجنوب، وبدأ تأثير الدكن على أهل العلم والأدب في الشمال وظهر علماء خدموا الأردية مثل العالم الفاضل مير عبد الواسع هانسوي الذي اشتهر بكتابه غرائب اللغات الذي يعد أول معجم في الأردية إذ لم يكتب بعده أي معجم إلا بعد خمسين سنة وهو نوادر اللغات لسراج الدين آرزو (١٠٩٩-١١٧٠هـ/١٦٨٧-١٧٥٦م) كما أن عبد الواسع كتب أيضاً حمد باري وهو كتاب يضم الكلمات العربية وما يقابلها بالفارسية والأردية

٣٢- سمير عبد الحميد، مقال بـ: مجلة الأزهر، عدد ربيع الآخر، ١٤٠٠هـ، ج ٣، السنة ٥٢، ص ٥٣٣.

٣٣- النماذج في المقال السابق ذكره، ص ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥. وانظر: أيضاً جميل جالبي، تاريخ أدب أردو، لاهور، ج ١،

ص ٥٩، ومجلة الكلية الشرقية، لاهور، أغسطس، ١٩٣١م، ص ١٢٢-١٢٥.

في صورة نظم يساعد الطلاب على حفظ معاني الكلمات، كما ظهر أيضًا عالم جليل هو الشيخ عبد الله الأنصاري (١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م) الذي كتب رسالة بعنوان فقه هندي شرح فيها - نظمًا - الفقه الإسلامي وقضاياها بطريقة يفهمها الرجل العادي، وأفرد لكل قضية فقهية بابًا خاصًا بها مثل: فصل في بيان شروط الإيمان، في بيان توحيد الحق تعالى، في بيان أحوال الملائكة، في بيان القيامة وعلاماتها، في بيان فرائض الإيمان، الماء الراكد والماء الجاري، مياه الآبار، الوضوء، الغسل، المسح على النعال، وغيرها. يقول:

إن معرفة قضايا الفقه هي فرض عين لو سئل عنها عربي أو تركي أو فارسي أو هندي أو أفغاني
إن معرفة علم الشريعة فرض عين على كل مسلم بالغ رجلاً كان أو امرأة (٣٤)

والأشعار الدينية سهلة مملوءة بالألفاظ العربية التي اقتضتها ضرورة عرض موضوع ديني ففي البيتين السابقين أتى الشاعر بالكلمات العربية التالية: مطلب، مسألة، فرض، عين، عربي، تركي، فارسي، هندي، أفغاني، علم شريعت، بالغ مسلمان، أي ٦٠٪ كلمات عربية و ٤٠٪ كلمات فارسية وهندية. وها هو عالم آخر وهو الشيخ محبوب عالم من كبار علماء عهد عالمگیر يكتب ثلاث رسائل منظومة يقول في إحداها:

يا إلهي احفظنا من التكبر والغطرسة
وامنح مسلمي محبوب العالم (النبي) التواضع
أنشدت هذه الأشعار حبا في النبي الكريم
أنشدت في مدح أحمد الرسول
... ()

وهكذا ولدت الأردنية في ظل الإسلام، وأصبحت لغة التفاهم ولغة التخاطب ولغة البلاط وبدأ الدعاة والمبلغون ينشرون بها دعوتهم. صبحت هي حلقة الوصل بين مختلف طبقات الشعب يتفاهمون بها في حياتهم اليومية وعن طريقها يتم الدرس والتدريس وبها ينشد الشعراء أشعارهم ويكتب الأدباء حتى ارتقت الأردنية ووصلت إلى مستوى اللغة الأدبية.

ثالثاً: الأصول اللغوية للأردية

النظريات الخاصة بنشأة الأردية

رغم أن اللغة الأردنية نشأت حديثاً ولا يتجاوز عمرها خمسمائة سنة إلا أن جذورها تمتد عبر الطويل للمنطقة، فلا يعقل أن تنشأ لغة في سنوات قليلة بل يحتاج هذا إلى فترة تطول لا يمكن تحديدها بسنة معينة أو وقت محدد.

واج اللغوي في الهند قديماً، لغة مكتوبة يعرفها الخاصة ولغة منطوقة غير مكتوبة يتحدثها الناس ويتعاملون بها ()

خالصة، بينما أطلق على لغة الحديث اسم " أو اللغة البراكرتية، وترجع هذه اللغة في أصولها إلى مجموعة اللغات الهـ معظم علماء اللغة أن موطن أسرة اللغات الهندوأوربية ليس آسيا الوسطى بل هو وسط أوروبا، وقد انفرط عقد هذه الأسرة، ومن أهم فروع مجموعة اللغات الهندوأوربية تأتي مجموعة اللغات الهندوإيرانية التي ترتبط ببحثنا، وهي تعد مرحلة من مراحل تطور اللغات الهـ تطورت إلى مرحلة ثالثة أطلق عليها فيما بعد اسم "مجموعة اللغات الهندوإيرانية"

المسيح بألفي عام، وتبعثر الناطقون بها فوصل بعضهم إلى إيران، واتجه البعض الآخر إلى الهند، وتطورت لغتهم هي الأخرى، فاللغتان في أصلهما كانتا لغة واحدة، ولهذا يوجد بينها تشابه واضح وتمثل " Avesta"، أو كما يطلق عليها العرب " "

الهندوإيرانية، كما أن الفارسية الحالية متمخضة عنها بعد أن مرت بالعديد من مراحل التطور.

تطورت المجموعة الهندوإيرانية وانتشرت في ثلاث صور تمثلت الأولى في اللغة الإيرانية ويتحدثها أهل إيران، ولغة بشاجه أو بشياجه ويتحدث بها أهل كشمير ومن حولها، و صورة الثالثة تمثلت في الهندوآرية، وكانت تروج بين أولئك الآريين الذين وصلوا إلى الهند حاملين ميراثاً لغوياً يضمهم جميعاً، ومن هججات الهندوآرية التي تمخضت عنها اللهجات المحلية التي يطلق عليها اسم " " "بهاشا" التي أنتجت لنا فيما بعد اللغة الهندوستانية أو الهندية أو

ويقسم علماء اللغة مراحل تطور اللغة الهندية الآرية إلى ثلاثة أطوار عبر عنها العالم الهندي سينتي

كما جترجي () بالهندية الآرية القديمة (. .) والهندية الآرية الوسيطة (. .) وأخيرا الهندية الآرية الجديدة (م حتى العصر الحاضر). ويقصد بالمرحلة الأولى السنسكريتية والثانية البراكرت، والثالثة البهاشا التي تطورت إلى الهندوستانية أو الآرية كما ذكرنا، وهكذا قسم محيي الدين قادري - وهو عالم لغوي له عدة أبحاث نشرت بباكستان والهند - أيضا هذا التطور اللغوي فأطلق على المرحلة الأولى " " " " وعلى المرحلة الثانية " " وعلى الم "بهاشا" ().

وكان من أسباب انتشار البراكرتية أنها مثل لغة الشعب في حين اقتصر السنسكريتية على رجال الدين والعلماء وكان التقسيم الطبقي داخل الهند لا يسمح لغير علماء الدين بتعلم السنسكريتية، ومن هنا ظلت هذه اللغة حبيسة داخل المعابد بينما تأثرت البراكرتية بالثقافات المختلفة داخل الهند، وأنتجت مجموعة "بهاشا".

ويتفق الباحثون جميعا على أن هذا التطور اللغوي قد نتج عن دخول المسلمين الهند من الشمال والشرق في أواخر القرن العاشر الميلادي حتى الباحثون الهنادكة لم يتمكنوا من إ كما جترجي () : "لو لم يفتح المسلمون الهند لتطورت رغم هذا اللغات الآرية" عن الحقيقة حتى لا يفقد مكاتنه كباحث فيتراجع قليلا عن رأيه قائلا: "ولكن لم يكن لهذه اللغات أن تحصل على مكاتنها الأدبية العالمية... فقد كانت تحتاج إلى فترة طويلة من الزمان لتصل إلى ما وصلت إليه". ()، وهو من علماء اللغة بالهند:

وبعد دخول المسلمين الهند ظهرت إلى الوجود حضارة جديدة وثقافة جديدة ونشأت لغة جديدة، لغة جديدة للهند، وأخذوا يعلمونها للأجيال التالية، وبدأ مسلمو شمال الهند في ا تضان اللهجات الهندية الآرية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بشغف ونهم، وتولدت نتيجة عن هذا في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين اللغة الهندية أو الهندوستانية وه ()

-
- في كتابه: اندوايرين اورهندي .
 - : محيي الدين قادري زور، هندوستاني لسانيات .
 - في كتابه: الهندية الآرية واللغة الهندية .
 - تاريخ زبان أردو.

اللغة الفارسية وذلك حوالي سنة / م وبدأوا في استخدام اللغات الإقليمية للتعبير عن أفكارهم في سبيل نشر الإسلام بين سكان الهند، وهذا هو السبب في بقاء حوالي % لسنسكريتية داخل بعض اللغات الهندية الآرية الراجعة في شبه القارة الهندية الباكستانية حتى اليوم. النظريات المختلفة لنشأة اللغة الأردية

يستلزم الحديث عن نشأة اللغة الأردية وتطورها عرضا سريعا لأحدث النظريات المتعلقة بنشأة

ننا نقصد أيضا الهندوستانية أو كما قال أحد العلماء الهنادكة "

المسلمين الهندية"، وبعد العالم الفرنسي "جارسان دي ناسي"

الهندوستاني في شبه القارة ()، كما نشر كل من جون جل كراست وشكسبير وفاريس واستيوارت وغيرهم، أبحاثا عن هذه اللغة، ومن علماء شبه القارة يصادفنا مير من في مقدمته لكتابه باغ وبهار : الروضة والربيع، وكذلك ما كتبه العالم الأديب محمد حسين زاد في مقدمة كتابه آب حيات : وهو في تاريخ اللغة والأدب الأردني، وكذلك أضاف سيد أحمد خان () فيما يتعلق

وقد أشار آزاد في كتابه () أن لهجة "برج بهاشا"

الوقت الذي كانت فيه الأردية لا تزال في مهدها كانت لهجة "برج بهاشا" إلى مرحلة الاكتمال، و

"برج بهاشا" لهجة ظهرت من حيث تركيبها

بدورها عن لهجة " " "آب بهرنش" الراجعة حول دهلي، إلا أن الفرق الواضح في الأسماء والأفعال والصفات وكذلك في الأصوات بين الأردية ولهجة "برج بهاشا" يجعلنا نتردد في قبول هذه النظرية، ونرفض القول بأن لهجة "رج بهاشا"

() إلى التقارب بين الأردية و "برج بهاشا" ومثل هذا التقارب بأن اللغتين شقيقتين وليست لهجة

"برج بهاشا"

ومن هنا يمكن القول بأن الأردية الأخت الصغرى قد استفادت كثيرا من لهجة " بهاشا"

- خطبات كارسان دي ناسي.

- آثار الصناديد

- آب حيات :

- أردو زبان كا ارتقا، طبع الهند.

الأخت الكبرى وذلك ابتداء من زمان " (/)
الزمان بدأت ملامح الأردية في الوضوح، وابتعدت كثيرا عن "برج بهاشا"
وقد عرض العديد من العلماء مثل: يتي كمار جترجي واحتشام
سبزاوري، ومحبي الدين قادري زور والبروفيسر محمد شيراني ومسعود حسين خان وغيرهم ()
وأفكارا مختلفة تجمع كلها على أن ظهور اللغة الأردية كان نتيجة لاختلاط الهنادكة بالمسلمين، إلا أنها
في مكان هذا الاختلاط وكيفيته وبالتالي في التت
أبداية اللغة الهندوستانية كانت في الدكن. فحين قدم التجار المسلمون إلى الهند عبروا سواحل مالابار
واستقروا حولها، وهنا وضع حجر الأساس للغة الجديدة نتيجة لاختلاط الهنادكة بالمسلمين، وكانت هذه
للغة الأردية، إلا أن هذه النظرية ضعيفة، فاللغة الأردية آرية، كما أن مالابار وما
حولها خضعت لتأثير اللغات الدراورية.
واضحة عليها، وكذلك كان لابد من وجود العناصر العربية، ويرى البعض الآخر أن المسلمين أ
بالسند عدة قرون وعلى أرضه ظهرت هذه اللغة الجديدة التي أطلق عليها فيما بعد " "
النظرية لا يمكن قبولها لأن النماذج الأولى للغة السندي مملوءة بالتأثيرات العربية

الأستاذ محمود شيراني () أن اللغة الأردية أقرب إلى اللغة البنجابية منها
إلى لغة "برج بهاشا" النحوي والصرفي لكل من البنجابية والأردية متماثل إلى حد كبير
وأن اللغتين تشتركان معا من حيث التعبير اللفظي والصوتي، فحين غزا محمود ال زنوي في أواخر
الربيع الهجري البنجاب ترك هذا الغزو أثره على المنطقة لفترة زادت على مائتي سنة، وخلالها ظهرت إلى
رفت فيما بعد باسم اللغة الأردية، وما بذله الأستاذ محمود شيراني لإثبات نظريته كشف
النقاب عن الكثير من مراحل تطور اللغة الأردية في مراحل

- هندوستان كلسانياتي جائزه : ، سنيتي كمار جترجي، اندوايرين أورهندي
داستان زبان اردو اردو لسانيات اردو زبان كا ارتقا
، محبي الدين زور، هندوستاني لسانيات ، محمود شيراني، مقالات شيراني
تاريخ زبان اردو

- نجات ميل اردو

:

من حيث لهجة كل منها، كما أن التحليل اللغوي لكل من اللغتين يوضح أن الأردية قد أعطت البنجابية الكثير وسبقتها من حيث التطور الصر في أيضا وليس من الضروري قبول هذه النظرية لأن العلامة المصدرية " " موجودة في كل من اللغتين، ولأن الاسم والفعل والصفة تنتهي بألف وهذا ليس قاصرا على البنجابية والأردية فقط إذ تشترك معها اللغة الهريانية، هذا بينما تشترك لهجة كُرى بولي من لغات الهند الغربية مع الهريانية في كون الأسماء والأفعال والصفات تنتهي بالألف ().

وهناك نظرية تقول بأن أثر الفارسية قد ازداد بعد فتح السلطان شهاب الدين محمد الغوري لدهلي وكانت اللغة الهندية تروج في دهلي، ومن هنا حدث التزاوج بين الفارسية والهندية لتولد بالتالي اللغة الأردية، وظل ينتشر مع بداية القرن الثاني عشر الهجري وحتى زمان حكومة تغلق : القرن الرابع عشر الهجري، وحين انتقلت العاصمة من دهلي إلى الدكن انتقلت اللغة بالتالي إلى الدكن ولكن هذه النظرية غير مقبولة لأن المخطوطات الأردية القديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل دخول المسلمين لهذه المنطقة ().

وعلى كل حال فإن ظهور لغة كاللغة الأردية لا يمكن أن يكون تم فجأة أو بالطريقة السريعة التي

حضارية وسياسية على مدار المئات من السنوات ولا يمكن القطع برأي فيما يتعلق بالسنة التي ظهرت فيها حتى اللهجات التي كونت نواة اللغة الأردية، إلا أن نماذج هذه اللغات المثلثة في البراكرتية وآب بهرانس ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وهي الفترة التي بدأت فيها اللهجات الجديدة تبرز إلى حيز الوجود وسيطر المسلمون على السند والبنجاب، ومن هنا جاء تأثير الفارسية على هذه المناطق.

اللغة الجديدة؟ أو أين ظهرت نتائج التفاعل الذي أنتج هذه اللغة التي عرفت فيما بعد الأردية؟ فيمكن ترجيح منطقة دهلي وما حولها، نظرا لما تتميز به من موقع ج رافي

واللهجات المختلفة مثل برج بهاشا، هرياني كُرى بولي، سيواتي (لهجة منطقة راجستهان)

من هذه اللهجات الهندية الغربية فهي تماثل اللغة الأردية والدكنية القديمة، وفي العهد المغولي ازداد تأثير برج بهاشا وكُرى بولي وتراجع تأثير البنجابية إلى حد ما.

- فاب ميل اردو

- داستان زبان اردو

وهكذا نشأت اللغة الهندوستانية التي تضم كلا من الأردية والهندية بالمفهوم الحاضر، وخضعت الأردية في تطورها خضوعاً تاماً للمنظور التاريخي لشبه القارة الهندية، كما تركت التغييرات الاجتماعية على اللغة الأردية.

وهكذا يمكن القول بأن الأردية ليست لغة دخيلة على الهند، كما أنها لم تظهر في السند ولا في الدكن ولم تنشأ من البنجابية أو البرج بهاشا، ولكن التقاء الألفاظ الفارسية والعربية واللهجة الغربية الهندية المسماة *كهرى بولى* دهلي أنتج لغة جديدة أثرت عليها البنجابية تأثيراً كبيراً في البداية، وبالتدريج تسللت لهجة *كهرى بولى* داخل أوثاب الأردية وكانت لها مكانة خاصة في بلاط الملوك المسلمين، ومن هنا نالت أهمية كبيرة جعلتها تصبح لغة المسلمين بالهند وغير المسلمين من المثقفين وغير مثقفين، الأغنياء والفقراء والعلماء والأدباء وبتة بير تختصر جمهور الناس.
